مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (01)، (جوان -2022)، ص 43-60
ISSN: 2602-5566 EISSN:2716-8999

تأصيل نظري لمفهوم التكامل المعرفي "قراءة في الفكر العربي الإسلامي، والفكر الغربي"

A theoretical rooting for the concept of cognitive integration, "A reading in Arab-Islamic thought, and Western thought"

جمال بلفردي*[1] عيسى ليتيم [2]

[1] المركز الجامعي بريكة، (الجزائر)، belferdidjamel@gmail.com

[2] جامعة عباس لغرور-خنشلة، (الجزائر)، aissalitim@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/05/07 تاريخ القبول:2022/05/10

ملخص

نستعرض في هذه الورقة البحثية ماهية التكامل المعرفي في جانبيه الإجرائي والتطبيقي، وموقعة في تفكير وتطبيقات الفكر العربي الإسلامي في شقه الأول ، والغربي في شقه الثاني بداية بالعصر الإسلامي ، ووصولا إلى الدعوات الإصلاحية القائمة في العصر الحديث أين يكتشف أنها تعرضت لقضايا التكامل المعرفي في كتابات غالبية مفكريها، عبر دراسة طبيعة العلم والمعرفة، او عبر تصنيف العلوم وبيان الصلة فيما بينهما، وكذا تبيان مصادر اكتساب العلم وما يترتب عن ذلك من علاقة العلم بالإنسان؛ والأخلاق والفنون، واتضحت المسألة أكثر في دعوات علماء الفكر الإسلامي المعاصر عبر نداءات لتحقيق فكرة أسلمة المعرفة أو التكامل المعرفي.أما في الفكر الغربي، وبالنظر الى طبيعته (الثنائية الوجودية، والنزعة النفعية) وإطاره العام الخاص به فقد دعا الى إعادة النظر في بناء المنهج كقاعدة للتوازن والدمج والتكامل بين الحقول المعرفية، وتزعم هذا الاتجاه مدرسة فرانكفورت التي اكتسبت اليوم أهمية بالغة لغنى وتنوع كتاباتها المتفتحة على جميع المرجعيات الفلسفية الكبرى تاريخيا وعالميا، غير انها وقعت فيما وقع فيه الفكر الاوربي السابق بأن أسست للإنسان المد يائي .

الكلمات المفتاحية: التكامل المعرفي، اسلمة المعرفة، الفكر الغربي، مدرسة فرانكفورت

Abstract

In this research paper we will review the Integration of knowledge concept in its procedural and practical sides, and its position In the Arab and Islamic thought on one hand and in the western one on the other. Starting from the Islamic era ending with the call of reform movements in the modern times that addressed the issues of knowledge integration in the writings of its intellectuals by studying the nature of science and knowledge or by classifying sciences and clarifying the relationship between them and also by including sources of information and the effect of that on the relationship between science and man, morals and arts…… and that was clear In the call of modern Islamic thought scholars who tried to achieve what is called "Islamization of knowledge" or integration of knowledge, while In the western thought, which is based on duality of existence and utilitarianism, it is called to reconstruct the syllabus to balance and integrate the different fields of knowledge. This thought is led by Frankfurt school that has acquired a great importance historically and universally through the variety and richness of the writings in the field even though it makes the same mistake of the former European thought by establishing to the media-affected man.

Keywords: Knowledge integration; Islamization of knowledge; western thought; Frankfurt school

* المؤلف المرسل

1-مقدمة

يمر عالمنا العربي والإسلامي بأزمة حقيقية، تجد أحد تفسيراتها في ضعف منظومتها المعرفية، وعجزها عن مواكبة التحولات التي بات يعيشها الإنسان المعاصر، ثنائية نظام التعليم الديني والعلماني، وانعدام التكامل المعرفي والبيداغوجي بين أوصال الحقول المعرفية جعلت العالم الإسلامي عامة، والعربي بصفة أخص رهينة الأنظمة التعليمية المؤقتة، والبرامج المستوردة.

وعليه فالحاجة ملحة إلى ردم الهوة بين نمط التعليم المدني والشرعي، للقضاء على الازدواجية الثقافية، وتعزيز الذات المسلمة المبنية أصلا على التفاعل مع الأخر مهما كانت كنهه، والإسهام في الفكر العالمي، من منطلق ما جاء في النص القرآني الصريح: "كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر"، وقراءة التراث الإسلامي بأدوات معرفية معاصرة تسهم في إعادة بعث الروح في مكوناته، لزيادة فعالية الإنسان المسلم المعاصر في شتى المجالات.

2- مفهوم التكامل المعرفي

تأخذ بعض المصطلحات موقعا مؤثرا في الكتابات الفكرية والثقافية، ويتسع استعمالها دون أن يتم تحديد دلالاتها بصورة واضحة، إذ يمكن أن يستخدم بدلالات مختلفة، وربما متناقضة، وهذه الحالة نجدها، مع مصطلح "التكامل المعرفي"، ذلك أن المصطلح يستخدم في كثير من الأحيان، ليعني أن شخص ما موسوعي في ثقافته ومعرفته لأنه يلم بكثير من العلوم، ولو كان إلمامه من باب الثقافة العامة، وليس من باب التخصص فما حقيقة المصطلح؟

فالتكامل المعرفي مركب وصفي يقتضي التعريف بشقية "التكامل" و"المعرفي" أما التكامل فهو مشتق من الفعل "كمل"، الذي يشير إلى التمام والجمال، وقد جاء في مختار الصحاح: تكامل الشيء: كمل، والتكميل: الإكمال والإتمام (خليل الدعامين 2011، صفحة164)، وورد في كتاب لسان العرب" تكامل الشيء"، وأكملته أنا، وأكملت الشيء، أي أجملته، وأتممته، وأكمله هو استكمله، وكمله: أتممه، وجمله قال تعالى" **اليوم أكملت لكم دينكم**"(ابن منظور، 1999،صفحة 598)

ونفهم من هذه التحديدات اللغوية لمصطلح التكامل، أنها تصب كلها في اعتبارات مادية ومعنوية مدركة في تمام الشيء وخلوه من كل نقص، وما ينطبع به ذلك الشيء من معاني الجمال، والحسن، وغيرها من المواصفات.

أما المعرفي او المعرفة فهي في أصل اشتقاقها، تعود الى الفعل الثلاثي "عرف"، والذي يعني، إدراك الشيء بتفكر، وتدبر، لأثره وهو أخص من العلم، ويضاده: الإنكار... (الاصفهاني، 1994 صفحة 331) ويعرفها احد العلماء بقوله : "هي إدراك ما لصور الأشياء أو صفاتها أو سماتها وعلاماتها، أو للمعاني المجردة، سواء أكان لها في غير الذهن وجود أولا؟ وكمال المعرفة تكون بمطابقة

الإدراك لما عليه المدرك في واقع نفسه، من صورة أو صفة أو سمة وعلامة، أو وجود أو عدم، أو حق أو باطل، أو غير ذلك مما يتعلق به، (الميداني عبد الرحمان حسن، 1993،صفحة 123)

وبهذا يصبح التكامل المعرفي، يعني تكامل مصادر المعرفة وهما: وهما الوحي والوجود، وتكامل مصادر المعرفة، وهما: الحس والعقل، وفق نظرة شمولية بعيدة عن التقسيم، ووفق هذه الحقائق نخلص الى القول أن لعملية التكامل المعرفي بعدين، بعد إنتاجي وبعد استهلاكي، فالتكامل في بعده الإنتاجي صورة من صور الإبداع الفكري الذي يحتاج إلى قدرات خاصة، فمثلا التكامل بين معارف الوحي والعلوم الإنسانية والاجتماعية في صياغاتها الغربية المعاصرة ، يحتاج الى العالم الباحث الذي يستلهم هداية الله سبحانه في فهم مقاصد النصوص والأحكام، وكيفية تنزيلها على الوقائع والأحداث ضمن إطار ثقافي حضاري معاصر، وهذا الفهم والتحديد والكيفية جهد تحليلي تفكيكي أساسي، لكن الباحث في الوقت نفسه سوف يحتاج إلى فهم الواقع الذي يتعلق بمجال معرفي معين أو قضية محددة، اقتصادية، أو اجتماعية، أو تربوية...كما وكيفا، وهذا يعني بالضرورة قدرة الباحث على تفكيك القضية، وتحديد عناصرها وفهم آليات عملها، وافتراضاتها النظرية الكامنة ، وهذا التفكيك في المجالين شرط ضروري مسبق، إذا تحقق سيكون أساسا لتحقيق التكامل المعرفي بين المجالين في عملية تركيب نقدية إبداعية يرافقها عادة تقويم للعناصر التي ستدخل في التركيب الجديد، وإنشاء شبكة العلاقات التي تصلها أو تجمعها أو توحدها لمقصد جديد أو غاية جديدة.

أما البعد الاستهلاكي من عملية التكامل المعرفي، فيتعلق بتوظيف الأبنية الفكرية التي يقوم عليها التكامل في فهم الظواهر أو القضايا موضع الدراسة، وتمييز العناصر المميزة للمعرفة في إطار تكاملي. وتسهيل نقل هذه المعرفة إلى الآخرين، والفرق بين البعد الإنتاجي والاستهلاكي من التكامل المعرفي شبيه بالفرق بين العالم الفيزيائي الذي يكشف القانون العلمي والعالم التكنولوجي الذي يطور الآلة التي يقوم عليها القانون من جهة، والمعلم الذي يعلم مادة الفيزياء والفني الذي يعمل في المصنع الذي تستخدم فيه الآلة من جهة أخرى (فتحي حسن ملكاوي،2016، الصفحات 25-26).

ولتبسيط المسألة أكثر يمكن القول أن التكامل المعرفي هو تلك العملية والصورة المعرفية المتحققة بتفعيل الرؤية الإسلامية للوجود في كل مجالات المعرفة، فالمعرفة التي تجمع بين ما جاء وحيا من عند الله تعالى مع ما جاء اكتسابا بشريا هي التي يمكن وصفها بالمعرفة المتكاملة، وهذا التكامل يشمل كل المجالات، فلا يتخلف مجال إنساني أو اجتماعي أو طبيعي عن هذا الوصف، فالتكامل المعرفي في العلوم الطبيعية - مثلا- يقوم على ربط الحقيقية العلمية المفردة" القانون الطبيعي" بغيرها من حقائق وسنن كونية جاءت وحيا من عند الله، وذلك بغرض أن تصبح تلك الحقائق نسيجا واحد متسقا، وفي العلوم الاجتماعية والإنسانية من خلال حصر المفهوم في البعد المستفاد من عملية ربط المعلومة والقانون الاجتماعي أو السلوكي الذي يعتمده علماء الاجتماع أو

الدراسات الإنسانية نتيجة دراستهم المعتمدة على الملاحظة والتجربة، والمناهج التي يعتمدونها في إطار كسبهم البشري بما جاء وحيا من عند الله سبحانه وتعالى فردا وجماعة، من منطلق أن عملية الربط تلك تحول الحقائق الى نسيج واحد متسق، أو توحيد معنى المقولات والتعابير التي يستعملها العلماء والباحثون في معارف مكتسبة نتيجة الاجتهاد البشري مع معناها في الوحي قرآنا، وسنة كتلك التي يتم فيها ربط المصطلح العلمي بالمفهوم القرآني.(السعيد عواشرية،2012،صفحة772)

فالمسألة هنا تتعلق بضرورة تفعيل الرؤية السليمة في كل مجالات العلوم سواء كانت علوم إنسانية أو طبيعية أو شرعية، فالمعرفة التي تجمع بين هداية الوحي والخبرة البشرية في عملية تفهم الحقائق التي تبحث فيها يمكن وصفها بالمعرفة المتكاملة باعتبار أن الدين لا يناقض العلم، فعلينا فهم الدين فهما صحيحا، وتحقيق التكامل بين هذا الجانب والجوانب الأخرى كفيل بإنتاج معرفة حقيقية قابلة للتطبيق، ونافعة الأثر.

يمكن أن يتحرك التكامل المعرفي في اتجاهات ثلاثة، أولها التكامل بين نمطين متغايرين من المعرفة هما الإنسانية والإسلامية، وثانيها التكامل بين علوم كل معرفة على حده (بأن يكون المؤرخ على سبيل المثال ملما على الأقل بالمطالب الضرورية من العلوم الإنسانية: الجغرافيا، علم النفس، علم الاجتماع والاقتصاد، والإدارة، والسياسة، والآداب والفنون)، وأن يكون المحدث على سبيل المثال ملما على الأقل بالمطالب الضرورية، من العلوم الإسلامية: علوم القرآن، والفقه، وأصول الفقه...أما الثالث فهو ذلك التكامل بين مفردات التخصص الدقيق، فالمتخصص في التفسير، يتحتم أن يكون ملما بعلوم القرآن الأخرى، كأسباب النزول، والإعجاز البياني، والإعجاز العلمي، والمتخصص - مثلا - بالعصور العباسية المتأخرة يتحتم أن يكون ملما بعصور ما قبل الإسلام، وعصر الرسالة، والراشدين، والأمويين، والعصور العباسية المبكرة وعصر الدويلات الإسلامية، والعصور المتأخرة، والعصر العثماني...).(عماد الدين خليل،2012،صفحة719)

و كلما كان التكامل المعرفي في اتجاهاته الثلاث أكثر إحكاما، وجدنا أنفسنا أمام علماء يملكون القدرة على الإضافة النوعية في حقل تخصصهم الدقيق، ويسهمون في الوقت نفسه في صناعة المجتمع، وذلك برأي هي الفكرة التي يجب أن تعمل عليها الجامعات والمعاهد.

3-التكامل المعرفي في الفكر العربي الإسلامي

ظهر مفهوم التكامل المعرفي في وهلة مبكرة من التراث الإسلامي، فقد برزت، النداءات الأولى لذلك في تأليف الامام - العلامة الشافعي، وتحديدا في كتابه "جماع العلم"، إذ أن لفظ "الجماع" يدل على اتخاذ الإجراءات المشتتة شكلا واحدا، فقد تجمعت بعد أن تجزأت، وهذه هي الفكرة التي يرمي إليها مصطلح "التكامل المعرفي"، وقد أراد الامام الشافعي في كتابه السابق التأكيد على أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الشارحة المبينة قولا وفعلا للقرآن الكريم بتجسده واقعا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا العمل من الامام دعوة صريحة الى الجمع بين

القرآن والسنة واتخاذهما مصدرا واحدا، وهذا هو بسب بدون شك في تسميته بجماع العلم(وان محمد عزام امين واخر ،2015،صفحة59).

وبرزت الفكرة أيضا عند "الإمام الغزالي"(450هـ/1058- 505 هـ، /1111 م)عبر كتابه المشهور والمعروف " إحياء علوم الدين " ،وجهوده في محاولة الجمع بين الفلسفة الإغريقية، وبين تعاليم الإسلام، وذلك بدراسة ما يقبله الإسلام، مما لا يقبله على أن يكون منطق العقل هو الفيصل في وجوه تهافت الفلاسفة، لقد قام الغزالي بتصنيف علم الفلسفة إلى أربعة أقسام، وذلك بعد أن بين أن العلم ينقسم إلى فرض عين، وفرض كفاية، وفرض العين هو معرفة ما يجب معرفته من الدين بالضرورة، ثم قسم الفرض الكفائي الى شرعي وغير شرعي، وبين أن الشرعي منه المحمود، ومنه المذموم ومنه المباح، ثم اسقط ذلك كله على الفلسفة، بحيث قسمها الى أربعة أقسام، أحدها الحساب والهندسة ومما مباحان، والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام، وثالث الإلهيات، وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضا، والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم، بل انفردوا بمذهب بعضها كفر، وبعضها بدعة، وكما إن الاعتزال ليس علما برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر، وانفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة، والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين، والحق، فهو جهل ليس بعلم حتى نورده في أقسام العلوم، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي 2005،صفحة13)

كما استرسل في كتابه "ميزان العمل" في الحديث على ضرورة التكامل المعرفي في التحصيل حيث يقول "على المتعلم ألاّ يدع فنا من فنون العلم، ونوعا من أنواعه إلّا وينظر فيه، يطلع به على غايته ومقصده، وطريقه ثم إذا ساعده العمر و واتته الأسباب طلب التبحر فيه، فإن العلوم كلها متعاونة ومترابطة بعضها ببعض ويستفيد منه في الحال، حتى لا يكون معاديا لذلك العلم بسبب الجهل به(أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، 2000،صفحة 209) .

ولعل العلامة ابن خلدون (1406 - 1332)يمثل نموذجا لأولئك الذين يمتلكون رؤية فلسفية للوجود تمكنهم من تفسير مظاهره المادية، وتقويم انتاجات الإنسان المعرفية، إذ نجده يقف طويلا موضحا تطور العلوم ومبنيا تصنيفه لأنواعها الكبرى، "اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر و يتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين، هي العلوم الحكيمة الفلسفية، والثانية هي العلوم النقلية الوضعية " (ابن خلدون عبد الرحمان ، 2004،صفحة171)، مؤكدا مجالاتها وتكامل قضاياها انطلاقا من رؤية فلسفية، تقوم على ملاحظة ذلك التكامل، أو التناسب العام الذي يعم الأكوان ويشمل كائناتها، وإذا كان ابن خلدون يرى بأن إنسانية الإنسان تتحقق بقدر إدراكه لذلك التناسب، وبقدر إحاطته بأسبابه الواصلة بين عناصره، انطلاقا من العقل

التمييزي الفاصل بينه وبين عالم الحيوان، وصولا إلى العقل التجريبي العملي المتمثل في القدرة على توظيف التراكم المعرفي الإنساني بقصد التكيف والتطور، وانتهاء بالعقل النظري القائم على التركيب والابتكار والتجديد والتنظيم، واذا كان هذا التواصل بين العقل التمييزي والتجريبي والنظري يعد عاملا مساعدا لتكامل المعارف وتواصلها، فإن هذا التكامل والتضافر يظل مشروطا بالوقوف عند حدود قدرات الإنسان العقلية، ولا يسوغ مطلقا الخلط بين المناهج المعرفية المتاحة للإنسان التي هي مناسبة لقدراته العقلية، وغيرها من المعارف "السرية" غير الطبيعية للإنسان.

وأكد ابن رشد (520 هـ/1126 م – 595 هـ/1198 م)مسألة التكامل هذه في غير موقع من إعماله المعروفة، وفي هذا الصدد يقول : " فان الموجودات، انما تدل على الصانع بمعرفة صنعتها، وانه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتم كانت المعرفة بالصانع اتم" ثم يردف : " وكان الشرع قد ندب الى اعتبار الموجودات وحث على ذلك، فبين ان ما يدل عليه هذا الاسم إما واجب بالشرع ، وإما مندوب إليه، فأما الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل ، وتطلب معرفتها به فذلك بين في غير ما آية من كتاب الله تبارك وتعالى، مثل قوله عز وجل في سورة الحشر: "فاعتبروا يا أولي الأبصار" ، وفي سورة ق" أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج" فأنا أفسر كيفية بنيانها ، ولقد صدق الابهري فيما قال فان من كان اكثر توغلا في بحار مخلوقات الله تعالى كان اكثر علما بجلالة الله تعالى وعظمته"(ابن رشد ، 1997،الصفحات60-61)

لقد ركز علماء الإسلام خلال هذه الفترة، في بيانهم على مفهوم المعرفي بمناقشة ثلاثة أمور قريبة الصلة ببعضها البعض، هي الإنسان، ونفس الإنسان، والإنسان والأخلاق، وهذه القضايا هي ما يكون نظرة الإنسان المسلم الى الأخلاق وما يقوم عليه تصوره للحياة، علما أن هذا التصور ينطلق من العقيدة والشريعة والأخلاق، ومن أهم هذه الأجزاء الثلاثة مسألة الإنسان ونفس الإنسانية، وكيفية تزكية قواتها، وهي العقل، والقلب، والنفس، وقد جعل الإمام الغزالي معرفة ذلك من الفروض العينية، وبذل العلامة ابن خلدون جهدا كبيرا في بيان أهمية نفس الإنسان، ومدى أثر تزكية النفس على العقل في بناء الإنسان المثالي وفق ما رسمه القرآن الكريم حيث يقول : "إذا كانت النفس على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحله قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك التشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله، ومن الأسباب المتقضية للكذب في الأخبار أيضا الثقة بالناقلين"(وان محمد عزام امين واخر ، الصفحات60-61) .

والجانب الثاني في بيان العلاقة الثلاثية التي تناولها علم الفكر الإسلامي في هذه الفترة في بيان التكامل المعرفي، بعد الإنسان، هو علاقة الإنسان بالعلم المكتسب، سواء علوم الوحي أو العلوم العقلية، يضاف الى ذلك أهمية المنهج الذي يستخدمه الإنسان في التعامل مع مصادر

العلم، من حيث كيفية الفهم والاستنباط والتنظيم، هنا يجد المدقق أن كلا من الإمام الشافعي والإمام الغزالي صنفا علوم النقل، وعلوم العقل ضمن دائرة الفروض الكفائية، ورأى العلامة ابن خلدون أن العلم ظاهرة طبيعية للإنسان يحصل عليها نتيجة الفكر، وإعمال العقل، وهي ظاهره مرتبطة بالإنسان دون غيره من مخلوقات الله (واخر ، 61).

وثالث العناصر في بيان العلاقة تناولها علماء الفكر الإسلامي في بيان الفكرة، بعد الإنسان والروح، وبعد علاقة الإنسان بالعلم المكتسب، هو بيان سبل الجمع بين الإرشادات العامة والعلوم العقلية، أي بيان وجوه التكامل والجمع بين الوحي والعقل والذي يتم بعملية التفكير والاجتهاد ،ومن هنا أتى الإمام الشافعي بالقياس، حيث كتب في الرسالة : " فما القياس أهو الاجتهاد أم هما مفترقان؟...هما اسمان لمعنى واحد"، وبين أنه كل ما نزل بمسلم فقيه حكم لازم أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة عليه، فإذا كان فيه حكم من الوحيين وجب إتباعه، وان لم يكن فيه بعينه طلب الفقيه الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد القياس" (وان محمد عزام امين واخر،الصفحات61-67).

وتبعه في ذلك الإمام الغزالي: " في أن الاجتهاد والقياس من مناهج حمل النص على ما نص فيه، وهو طريق لكسب العلم بالحكم، بقوله : " والقياس حمل معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بأمر جامع بينهما من إثبات حكم أو صفة أو نفيهما عنهما " ، وسار العلامة ابن خلدون على نفس المنوال عندما أقّر أن القياس من مناهج كسب العلوم، حيث بين أن التناسب بين الأشياء هو سبب الحصول على المحمول من العلوم الحاصل للنفس، وطريق لحصوله، ولاسيما من أهم الرياضة قارنها تفيد العقل قوة القياس وزيادة الفكر.

ومن وجوه الوقوف على فكرة التكامل في التراث الإسلامي الحديث عن الإنسان والأخلاق وهما مرتبطان في الفكر الإسلامي، ومتأثران ببعضهما البعض، وبما أن آلة العلم متعلقة في الحديث بالنفس والروح والعقل، فان الأخلاق مرتبط بالصورة الداخلية، والخارجية، علما أن النفس والروح والعقل من الصورة الداخلية، يرى الغزالي أن الخلق، والخلق عبارتان مستعملتان معا، يقال فلان حسن الخلق والخلق، أي حسن الباطن، والظاهر، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة، والخلق الصورة الباطنة، وتعليل الغزالي لذلك هو أن الإنسان مركب من جسد مدرك بالصبر، ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة، ويرى من زاوية أخرى أن الخلق عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، وأن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد، بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن المظهر، وكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث فهي تكامل بين أربعة أجزاء لها علاقة بالإنسان، وهي في الأخير

من اجل الإنسان، أي خلقة ويلاحظ أن للعلم وطرق تحصيله وأنواعه أثر في تحديد أخلاق الإنسان، فهما متلازمتان"(وان ، الصفحات61-67)

نفهم من هذا الاستعراض لصدى فكرة التكامل المعرفي لدى علماء الإسلام ان ذلك تركز في جهودهم الجبارة نحو تزكية الروح والتحلي بالأخلاق الحميدة، وبتطوير صناعات وفنون وعلوم بعد العناية بتصنيفها ويبدوا إنهم نجحوا في ذلك إلى حد كبير، ويمكن إبراز وجوه مساهمتهم في ثلاث أمور، الأمر الأول يتمثل في الجانب الروحي التعبدي، وهذا الجانب يقوم على الوحي المتمثل في القرآن والسنة، ويتمحور حول الحفظ والفهم والتطبيق لتعاليم الوحي وإرشاداته. والأمر الثاني يتمثل في الجانب العقلي أو الثقافي، ويتضح في استخدام المنهج العقلي ، أو سلوك مبدأ الاجتهاد في تحقيق التكامل المعرفي الذي هو دور الإنسان في التعامل مع النص والواقع، فهما وتنزيلا وتوحيدا، والأمر الثالث يتمثل في الجانب الأخلاقي وهو نتاج الأمرين السابقين ، وذلك بعد أن تتطهر النفس وتتزكى بالوحي، وبعد أن يستفيد من ذلك الإنسان فيوحد بين علوم النقل وعلوم الطبيعة بعد هذا وذاك يثمر الجانب الأخلاقي فينتج للإنسان فنا وصناعة قوامه الأخلاق في التعامل بين بني الإنس أنفسهم من جهة ، وبينهم وبين بقية مكونات الحياة من جهة أخرى مثل الحيوان والنبات، وجميع ما يسخر عليه الإنسان، فالروح الطيب ينتج عملا طيبا، والعكس صحيح، وهكذا فان فكرة التكامل المعرفي لدى علماء الإسلام بتركيزها على ثلاثية الروح والعقل والأخلاق قد نجحت إلى حد كبير، وسوف تساهم جهودهم في إثراء التجارب الإسلامية اللاحقة في العصر الحديث للإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها .

4-ملامح بلورة التكامل المعرفي في الفترة المعاصرة

بعد الصدمة التي واجهت المسلمين نتيجة التفوق العلمي الصناعي للغرب، وتأثر كثير من مثقفي المسلمين بإيديولوجية الغرب، في التمييز الحاسم بين الدين والعلم، فقد نهض عدد كبير من العلماء المعاصرين للدعوة الى خطورة والفصل بين الإسلام والعلم ، وضرورة إقامة الارتباط التوحيدي العميق بينهما، فهذا مظفر إقبال يؤكد وظيفة حرف العطف بين كلمتي الإسلام والعلم، اذ يجب أن تتجاوز هذه الوظيفة مجرد بناء اتصال إلى وظيفة التوحيد، لان من غير المفهوم أن يتضمن الخطاب الإسلامي نظامين للحقيقة أو طريقتين مستقلتين إليهما، وحتى عندما ما تتعدد طرق التعبير عن الحقيقة الواحدة أو طرق الوصول اليها، فإنها تبقى متصلة بعضها بعقدة مركزية ذات وظيفة توحيدية(ملكاوي ، صفحة26).

وفي نفس الاتجاه تقريبا قامت الدعوة إلى أسلمة المعرفة، ونقطة الانطلاق في توجهها أنها شخصت أزمة الأمة الإسلامية المعاصرة، في أنها تتمثل في ثنائية نظام التعليم الديني والعلماني، وان الأمة لا يمكنها الاستفادة من العلوم المعاصرة بصورتها الحالية سواء الإنسانية أو الاجتماعية، وحتى الطبيعية، لأنها جميعا وجوه لرؤية تكاملية للحقيقة والعالم والتاريخ، وكلها غربية عن

الإسلام، وتكمن معالجة هذه الأزمة في توحيد نظامي التعليم الإسلامي (التقليدي) والعلماني (المعاصر) في نظام واحد يجمع حسنات النظامين مع إجراء التطويرات اللازمة للمعارف التي تقدمها أنظمة التعليم، بصورة تتم فيها صياغتها من منظور إسلامي أي أسلمتها(الفاروقي ،1983، الصفحات 16-43)، وعلى العموم مرت هذه الفكرة بمراحل تاريخية وأسست لها مؤسسات خاصة، للإشراف عليها ويمكن تتبع هذه المراحل على النحو المبين في :

تأسيس جمعية العلماء المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1972، تلك الجمعية التي جدّت في البحث عن سبل الإصلاح من منطلقات فكرية وتخصصية وعلمية، وقادت جهودها الى ما يلي:

انعقاد المؤتمر العالمي الأول للتربية الإسلامية في مكة المكرمة عام 1977، والذي حضره عدد كبير من قيادات التعليم العام والعالي في مختلف دول العالم الإسلامي، والذي تضمنت بحوثه ومناقشاته نظرة نقدية لنظريات العلوم الاجتماعية الغربية، ومناهجها، ثم انتهت مداولاته إلى الدعوة وبصورة واضحة تماما إلى معالجة هذه العلوم وغيرها من وجهة النظر الإسلامية.

انعقاد الندوة العالمية الأولى للفكر الإسلامي في لوجانو بسويسرا عام 1977، والتي انتهت إلى الدعوة لإنشاء "المعهد العالمي للفكر الإسلامي" لقيادة جهود إسلامية المعرفة.

إنشاء المعهد العالي للفكر الإسلامي في الو، م. أ عام 1981، وبدأ في الاشتغال عام 1984، وتولى منذ ذلك الحين قيادة جهود إسلامية المعرفية، بالتنسيق مع مؤسسات التعليم العالي، ومراكز البحوث في مختلف مناطق العالم الإسلامي.

اللقاء العالمي الثاني الذي عرف بندوة إسلامية المعرفة في إسلام آباد – باكستان 1982 والذي أسفرت بحوثه ومداولاته على الاتفاق على خطة العمل، التي نشرت في كتيب هام باللغة الإنجليزية بعنوان (أسلمه المعرفة)

نشر الترجمة العربية لمقال 'أسلمة المعرفة" للدكتور إسماعيل الفاروقي والذي كان أحد البحوث المقدمة لمؤتمر إسلام أباد) في مجلة المسلم المعاصر عام 1982.

نشر كتاب إسلامية المعرفة، المبادئ العامة خطة العمل الإنجازات الذي كان إسماعيل الفاروقي قد أعد مادته، وقام بتحريرها باللغة الإنجليزية، ثم أعاد الدكتور عبد الحميد أبو سلمان تحرير الكتاب مع إضافات عديدة، باللغة العربية عام 1986(ابراهيم عبد الرحمان رجب، 1996، الصفحات 16-17) .

وقد تبنى هذه الفكرة مجموعة من المفكرين الإسلاميين المعاصرين، اغلبهم أساتذة جامعيون يدرسون العلوم الإنسانية والاجتماعية، وينتمي هؤلاء المفكرون إلى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى، دارت حول المعهد العالمي للفكر الإسلامي (إسماعيل الفاروقي، وعماد الدين خليل، وجابر العلواني، الحاج حمد ابو القاسم)، والمجموعة الثانية المرتبطة بالجامعة العالمية

الإسلامية بماليزيا(سيد محمد نقيب العطاس) والمجموعة المرتبطة بالجامعات السعودية، وبخاصة جامعة محمد بن سعود، وأخيرا المجموعة المصرية(محمد عمارة، وعبد الوهاب المسيري)، ومن ثم انتشرت المحاولات الفكرية- التي أخذت في الغالب شكل الدراسات غير البحثية- إلى كل إنحاء البلدان العربية(عند محمد الذوادي في تونس، بلقاسم الغالي، وعليان بوزيان في الجزائر)(ساري حنفي 2016،صفحة 48)

وقد لخص أنصار فكرة "أسلمة المعرفة"، دواعي التكامل المعرفي في الفكر الإسلامي، إلى الأزمة التي تعيشها الأمة فكرا وواقعا، وأجملوها في ثلاث معضلات:

. المعضلة الأولى: تتمثل في ازدواجية التعليم التي انعكست على شخصية الإنسان المسلم وعقله وفكره، ونمط حياته ، وإنتاجه الفكري والعلمي والفلسفي

. المعضلة الثانية: خطر العلمانية، وخطر التغريب على الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي.

. المعضلة الثالثة: في نمطية المنهجية الإسلامية التقليدية، وقصورها عن تقديم البديل المعرفي الإسلامي في المجالات الاجتماعية (عبد العزيز بو الشعير،2015، الصفحات267-270)

وفي اعتقاد المهتمين بهذا المشروع، تعد دعوة الفاروقي إلى اسلمة المعرفة مبنية على رؤية تكاملية ترمي إلى بناء نظام معرفي توحيدي، اذ يقوم هذا البناء على مبادئ وجودية خمسة، وحدة الخالق ووحدة المخلوق، ووحدة الحقيقة، ووحدة الإنسانية، فهذه المبادئ الوجودية لها دلالتها المعرفية والأخلاقية التي ينبغي ان توجه الفكر الإنساني، وتحدد هذه الدلالات في أنها تضع جملة من المعالم والمبادئ الرئيسية للتصور الإسلامي للمعرفة، وتعكس هذه الخطة التي اقترحها الفاروقي خاصية التكامل، عند تأكيده على ضرورة تجويد العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة، إلى جانب العلوم الشرعية فيتكامل التراث الإسلامي مع التراث الغربي بعد هضمه ودراسته وتمحيصه والاستفادة منه مع ما يتماشى ومقتضيات التوحيد وتطبيقاته(إبراهيم ابو بكر أحمد محمد ، 2006،الصفحات 28-29).

وفي السياق نفسه تأتي محاولة الدكتور" عبد الحميد أبو سلمان" في تحديد مفهوم التكامل المعرفي وإبعاده التطبيقية بصورة أوضح في قوله: "يتكون التكامل المعرفي أكاديميا من دراسات ومساقات لخدمة فهم الوحي، وتوثيقة وضبطه، وإمداد صاحب كل اختصاص في مجاله المعرفي، سواء اجتماعيا، أو إنسانيا، أو ماديا، بالمقاصد، والمفاهيم، والمبادئ، والقيم، والتصورات، والضوابط الكلية اللازمة لكل مجال وفرد، ولكل صاحب اختصاص بهدف توفير لوازم الإنتاج المعرفي الحضاري الصحيح الراشد، وينبني هذا التكامل المعرفي على ثلاثة أمور:

. التعامل الايجابي مع الواقع، وعدم الانطلاق من مجرد فكر نظري فلسفي، أو مجرد استلهام لتصورات وخطط مسبقة، بحيث ينقاد لها الفكر الإسلامي ويترسم خطاها، فطاقات الفكر والدرس والبحث في الطبائع، والواقع تنطلق على أساس مبادئ العقل، وسنن الكون، ومقتضى هداية الوحي.

. تكامل المعرفة ليس عملية معرفية بحتة، ولكنها عملية نفسية، تربوية، تعمل على تنمية الدوافع، وتربية الوجدان، وتحرير الإنسان المسلم من أفات الخرافات والأوهام والتناقضات، ليخوض غمار العلم والمعرفة في شجاعة وثقة ومبادرة طلبا للإصلاح والإتقان والإبداع .

. تكامل المعرفة عملية تتطلب الإلمام بمفاهيم الإسلام وقيمه، وبالمعرفة الحديثة، والتفكير المستمر لتوليد الفكر والمعارف (احمد محمد، صفحة38).

من هنا نفهم أن عملية التحليل والتفكيك والتركيب الخلاق والتكامل بين معارف الوحي والمعرفة الإنسانية، يجب أن تقوم على قاعدة الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي ، والكون بمنهجية واحدة انطلاقا من إطارها المعرفي القائم على دعائم التوحيد ، ووحدة الخلقة في العلاقة بالخالق، ووحدة الحق ومفهومه في الوحي، وفي الوجود ووحدة الحقيقة فيهما، والجمع بين تعليل الوحي والحكمة فيه، وغائية الكون وقوانين الأسباب فيه، كما يتحقق التكامل المعرفي كما يرى العلواني " بمعرفة الصلة بين بناء النسق القرآني وبناء الكون، شرطا ضروريا لبناء منهجية القرآن المعرفية.

والنتيجة الختامية تكمن في أنه لابد من تحديد المجالات الرئيسة للتكامل يكون بين الوحي والكون، او بين العقل والحس مع الوحي، وتكامل العلوم الإنسانية مع العلوم الطبيعية وعلوم الشريعة، وتكامل النص والعقل والذوق ، أو بين البيان والعرفان والبرهان كما يرى الجابري، تكامل المعرفة مع القيم ، والنظر مع العمل، والمجرد مع المشخص ، والعقل مع الواقع ، والدين مع الدنيا

5-التكامل المعرفي في الفكر الغربي

يمكن القول أن هذا الفكر بالنظر إلى طبيعته وإطاره العام قام منذ العصر الإسلامي إلى العصر الحديث على المنزع التجزيئي للمعارف، ومرد ذلك إلى ثلاثة أسباب بحسبنا:

. الثنائيات الوجودية: ويميز الفيلسوف الانجليزي "برتراند راسل" مثلا بين الدين والفلسفة والعلم، ويعتبر أن كل واحد منهما يمثل منهجا في النظر وحقلا معرفيا يختلف عن الأخر، فالدين فيه غيبيات لا يكتمل الإيمان به من دون ايمان مسبق بها، في المقابل يغيب هذا البعد الغيبي عن المنهج العلمي، وذلك إن أهم ما يميز هذا المنهج انه لا يتعاطى الّا مع ما هو قابل للملاحظة المباشرة، او غير المباشرة، كل ما يقع خارج إطار الملاحظة لا يعتبر موضوعا للعلم، بعبارة أخرى الطبيعة ومحاولة الاقتراب منها ومعرفة أسرارها هي موضوع العلم. ما وراء الطبيعة، باعتباره ينتمي للغيبيات وغير قابل للملاحظة حتى الآن، لا شأن للعلم به، ولا يقع ضمن مواضعه، تشترك الفلسفة كما يقول راسل مع العلم في منهجها العقلاني، واستقلالها المعرفي عن السلطات التقليدية الموروثة؛ مثل سلطة المؤسسة الدينية، وتشترك مع الدين في انها تعتبر ما وراء الطبيعة موضوعا يقع ضمن اهتماماتها، لكنه تختلف عن الدين في ان تعاملها مع هذا الموضوع ينطلق من منطق السؤال، وليس الإيمان المسبق، أي أنها اقرب بمنهجها العقلاني والنقدي الى العلم منها الى الدين(خالد الدخيل ، 2015.) .

- النظرة الطبقية للاجتماع البشري: منذ إمبراطوريات الإغريق والرومان كانت المعارف تتجزأ بناء على منظور طبقي يتعاطى مع الأصناف المعرفية تبعا للتقسيمات الاجتماعية، فما كان يطلق عليه ب"الفنون السبعة " يقدم لطبقة بعينها هي الطبقة الراقية، في مقابل المهن "الحرة اليدوية" التي لا تليق بطبقة الأحرار، وكانت تقدم لمن هم أدني، لهذا كان انتقاء المعرفة وتوزيعها يعكس توزيع القوة ومبادئ الضبط الاجتماعي على نحو تميزي.

- النزعة النفعية المباشرة: ويقصد بها حصر البحث العلمي ونظام إعداد المناهج التعليمية في دوائر تخصصية ضيقة، فأمريكا في معرض محاولتها إصلاح التعليم، كرست تجزئة المعرفة عبر تأكيدها على لون معين من المعارف، وذلك كرد فعل على تفوق الاتحاد السوفياتي في حقل الفضاء يوم تمكن من إطلاق أول قمر اصطناعي سنة 1957،وتجلى هذا الموقف بعد عقد مؤتمر ضم ابرز العلماء والباحثين، وتمخض عنه ظهور كتاب" برونر" المعنون "the process of éducation"، والذي تم التأكيد فيه على ضرورة اعتماد النظم المعرفية المستقلة، وإعطاء الأهمية للجانب التخصصي للمعرفة في جانب العلوم الطبيعية، لدرجة أن معايير التفوق لا تشتق إلّا من التخصص والتعمق في النقاط المدرسية الدقيقة(القريشي ، 2008،الصفحات203-206)

ونفهم من هذا كله أن التفكير الغربي قام على التجزئة بين العلوم والمعارف بأن جعل فيما يقول عالم الاجتماع والفيلسوف الألماني "يورغين ميتلشتغانس" (ولد سنة 1936، وتخصص في نظرية العلوم). العلوم الإنسانية تعيش على الهامش في النظام العالمي وفي وعي العامة، وصار الاهتمام بالعلوم الطبيعية، والهندسية، باعتبارها كفيلة باكتشاف ما يشبع الحاجات المختلفة للإنسان، لكن المخاوف ازدادت بنتائج تطبيق هذه العلوم واكتشافاتها على الإنسان، كانتشار النفايات، وتلوث الغلاف الجوي والحربين العالميتين الأولى والثانية، وما إعلان «فوكو" في النصف الثاني من القرن العشرين إلّا فضح لمركزية هذا العقل، ونتائجه في هذه المرحلة، وحتى "برونو" الذي كان في السابق من أنصار نظرية تجزئه العلوم والارتكاز على النافع منها أعاد النظر في عمليات بناء المنهج وصار يدعو إلى ضرورة إتباع الطريقة التي لابد أن يراعى فيها التوازن والدمج والتكامل بين الحقول المعرفية(يورغين ميتلتغانس، 2013).

وعلى خلفية النزعة النفعية بات الانصهار في التخصص، يظهر في البلاد العربية والإسلامية على نحو متهافت، لدرجة أضحى الكثير لا ينظر إلى المعارف إلّا بعين التاجر المفرق، هذا "مربح" فهو علم، وهذا "غير مربح" فهو ليس بعلم، وترسب في ذهن القائمين على العملية التعليمية والمتعلمين، أن هذه المواد هامشية ولا قيمة لها، لاسيما في ظل النظم التي تعفي هذه المواد من معايير النجاح والرسوب، ووفق هذه العقلية التجارية أخذت النسبة القيمية للعلوم الإنسانية تنهار(القريشي، صفحة 206)

وبالعودة إلى الفكر الغربي وأخذا بعين إفرازات عصر التنوير على الإنسان الغربي ظهرت دراسات جذرية نقدية للحضارة الغربية قصد إعادة النظر في أسسها و نتائجها في ضوء التحولات الكبرى التي أفرزتها الحداثة الغربية وخاصة منذ عصر الأنوار، التي تعتبر نقطة تحول في جوهر هذه الحداثة كما أنها لعبت دورا هاما في رصد مختلف الأعراض الباثولوجيا(المرضية) التي عرفتها المحتمات الغربية المعاصرة، كالتشيئ والاغتراب وضياع مكانة الفرد وأزمة المعنى وغيرها، بتوجيه انتقادات جذرية وعميقة للمفاهيم والقيم التي تأسست عليها هذه المجتمعات كالعقلانية والتقدم العلمي والتقني وما ارتبط بها من نزاعات وضعية وعلموية وتقنو علموية، وتزعم هذا الاتجاه مدرسة فرانكفورت الألمانية التي اكتسبت اليوم أهمية بالغة، لغنى وتنوع كتاباتها المتفتحة على مختلف المرجعيات الفلسفية الكبرى(الكانطية، الهيجلية، الماركسية، الفرويدية)، ويمكن تقسيم مراحل تطور هذا الاتجاه منذ ظهوره في عام 1923 إلى ثلاث مراحل أساسية:

. المرحلة الأولى وهي المرحلة التأسيسية التي يمثلها الجيل الأول، وعلى رأسهم: ماكس هوركايمر، ثيودور اودرنو، وهربرت ماركوز.

. المرحلة الثانية التي تمثل الجيل الثاني وعلى رأسهم، يورغن هابرماز، وكارل اوتو آبل .

. المرحلة الثالثة، ويمثلها اكسل هونيث، وهو مدير معهد الدراسات الاجتماعية بفرانكفورت (كمال بومنير ، 2010،الصفحات 9-64)

اهتمت هذه المدرسة بالعلوم الإنسانية والطابع التكاملي بين فروعها،وبرز ذلك في كتابات مفكريها خاصة "روبيرت ياوس" الذي خصص في كتابه" مسالك الفهم"(Waage des verstehens)، فصل حول" نموذجية العلوم الإنسانية في حوار التخصصات"، دعا فيه إلى تجديد العلوم الإنسانية من خلال إعادة تعريفها بواسطة وظائفها، والتي من ضمنها الوظيفة التكاملية، التي تتجلى في إثارة الحس النقدي والفكر التركيبي لدى الطلبة من خلال درس الفلسفة وعلم الاجتماع، والمطالبة بخلق جسور بين مختلف المناهج، مما يؤدي في النهاية إلى انجاز حوار تخصصات علمي وطرح عدة تساؤلات بشكل أدق ما هي التساؤلات التي تواجهها العلوم الإنسانية؟ ماهي منافذ المعرفة التي تفتحها؟ وماهي المناهج التي كونتها وجعلتها في متناول البحث العلمي؟ واختصارا : لماذا ندعي إن العلوم الإنسانية لا يمكن لها الاستغناء عن غايتها ابد وهي الثقافة الانعكاسية"(هانس روبيرت ، 2015)

وتقدم النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت بدورها. مدخلا متكاملا لدراسة العلوم الإنسانية، لسد الثغرة التي خلقها التفتيت الناتج عن التقسيمات التي وضعها الأكاديميون ذو الاتجاه الوضعي بين التخصصات المختلفة المتداخلة، وتنتقد الانفصام بين العلوم الاجتماعية ، مما افرز محدوديتها المعرفية وضعفها العملي، وقد شرح هوركايمر مبدأ التكامل في تعريفة للفلسفة الاجتماعية ، بأنها النظر لحياة البشر في ضوء انتمائهم لجماعة معينة، وليس كأفراد فحسب، بل

يجب الاهتمام بحياة الاجتماعية للبشر، في إطار الدولة والتشريعات والاقتصاد، والدين والسياسة، اي باختصار دراسة كل المكونات المادية والروحانية للثقافة الإنسانية، كما اهتم هذا العالم بتطوير برنامجا بحثيا يجمع عدة مداخل ليدرس المشكلات الاجتماعية والسياسية والذي على حد قوله يجمع الفلاسفة، علماء الاقتصاد، الإعلام، والاتصال، والتاريخ ، وعلم النفس الخ في شكل ربطة بحثية تتعاون لتطوير المناهج التي تفتقر للنظرية الكلية.(ليلى فيلالي،)،

في نفس اتجاه هذه المدرسة، يمكن ان نشير إلى أفكار عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي" ادغار موران، التي تبناها المجتمع الفرنسي، في مؤلفاته (science avec conscience)،(الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب)، والتي سارت في اتجاه تبني مقاربة التكامل المعرفي، ووضح أهميتها في تناول القضايا الراهنة في كليتها وتعقيدها، وذلك بتأكيده على ما يسمى بالفكر المركب(pensée complexe)حيث يقول" ان التفكير البسيط أداة لحل المشكلات البسيطة، دون ان تكون هناك مشكلة في التفكير، بينما التفكير المركب او المعقد لا يحل المشكلات بنفسه لكن يقدم المساعدة الاستراتيجية قادرة على حلها،...انه يقول لنا(أي التفكير المركب) ساعد نفسك يساعدك التفكير المركب"،(Edgar Morin,1999.p43) وقد لاقت أفكار هذا الفيلسوف، وفيلسوف آخر يدعى " دومنيك لكور"، صدى لها لدى وزارة التعليم العالي الفرنسية بان أدخلت مادة الفلسفة، في تخصص التكوين الجامعي البيولوجي والطبي، لأدراك البعد الأخلاقي والإنساني للبحوث البيولوجية والطبية، تفاديا للوقوع في الأزمة الحضارية الأولى وهي العودة إلى الدين زمن الحكم الكنسي في القرون الوسطى(العمري حربوش،2012،صفحة28)

وفي مجال البحث عن تطبيقات مدرسة فرانكفورت يمكن القول كما ذكر احد الباحثين" ان النقد للفكر الغربي ، وظهور تيارات معارضة مرحلة طبيعية داخل مسار التحول في مشروع الفكر الغربي، حيث لا يلبث الفكر ان ينتهي من إرساء دعائم مشروع، حتى يعلن تناهيه أو بالأحرى إعادة بعثه في ثوب جديد مغاير، ميزة أفكارها الأساسية أنها تؤسس لنهاية الإنسان المؤنس بكل ما يحمله من معاني طوباوية ودعاوي الحرية، والعدالة وغيرها من الشعارات، إلى كائن بشري جديد يصطلح عليه "الكائن الوسيط" الذي يلغي ذاته وكينونته، متجاوزا صراعاته، الى قيم الحوار والتواصل والتكامل، وهذا المصطلح" الإنسان الوسيط" أو الإنسان الجديد، لا يتعلق الأمر والقول بوجود كائن جديد، بقدر ما يتعلق بنمط جديد من الوجود أفرزته الثورة التقنية والمعلوماتية، شعار هذا الإنسان" لا تكن ذاتك" "ولا غيرك" بل " تغير عما انت عليه" لكي تستطيع التواصل والتعايش مع غيرك، بلغة الحوار والمفاوضة، ثقافة المشاركة الفعالة والمسؤولية المتبادلة(عبد الغني بارة ، 2005،الصفحات 85-86)

لقد أسس هذا الطرح الى مجتمع جديد، هو المجتمع الإعلامي الذي تتلاشى على سطح نصه الالكتروني الحدود والخصوصيات وتتآكل الهويات وتضمحل الفروقات بين الشعوب

والثقافات، هذا التبادل الرقمي الخارق للحدود، العابر للقارات قد أعلن عن ميلاد مجموعات بشرية جديدة، تسمى "المجموعات السبرانية" او الافتراضية، التي لا ترضى بمنطق المجتمعات القديمة، حيث يشترط مراعاة الروابط اللغوية والعرقية والدينية لقيام مجتمع ، انه المجتمع الافتراضي القائم على برامج المعلومات وشبكات الاتصال في عالم اصطناعي ، يقوم على الخيال الوسائطي المد يائي، تكون فيه اللغة رقمية بدلا من مكتوبة، وتستدعي ولادة النص الالكتروني ومعه القارئ السبرياني (بارة ، صفحة87) .

ان منطق الخوف والاعتراض ليس من العولمة، وليس رفضا لثورة المعلومات كمرحلة جديدة في تاريخ البشرية، وإنما هو تخوف من رقمنة الإنسان، وقتل الجانب الاحساسي فيه، أي إلغاء الجانب الوجودي لهذا الكائن ، وعن هذا التخوف يقول "محمد حرب: "ان تدفق المعلومات من جراء البث الفوري والعمل الافتراضي، في الزمن الآني، يجعل كل سيء راهنا او مؤقتا بانتظار المفاجئ أو الطارئ من الرسائل والمعطيات المغير باستمرار....انها الحركة الدائمة التي تجعل من المتعذر السيطرة على قوانين التغير او التحكم، بنظام الأشياء، الأمر الذي يولد حالة من عدم الاستقرار بقدر ما يفقد المقاربات والمعالجات مصداقيتها وفاعليتها، ...او بقدر ما يجعل المعالجات والحلول للمشكلات تولد مشكلات اخطر واكثر تعقيدا وذلك هو معنى الأزمة... ومن هنا الخشية ان تؤدي الانفجاريات التقنية والمعلوماتية إلى حلول الآلات الذكية والكائنات الرقمية مكان العقول البشرية والكائنات الحية" ، وهو تخوف في محله ويجب التنبه لخطورته بوضع الآليات التي تحصن الإنسان وتحافظ على مكانته في المجتمع(علي حرب ،2002،الصفحات111-113)

6-خاتمة

تعد مسألة التكامل المعرفي مسألة فكرية منهجية، من حيث انها ترتبط بالنشاط الفكري والممارسة البحثية وطرق التعامل مع الأفكار مهمة جدا لتجاوز أزمة الأمة الإسلامية المعاصرة، وأزمة الفكر الأوروبي المعاصر، لبناء الإنسان المسلم القادر على الخلق والإبداع والإرشاد ولتحقيقها لابد من توفر الإرادة السياسية لدى الأنظمة العربية، بتجسيدها عمليا عبر الكليات والجامعات الوطنية، اما منهجية تحقيقها فنلخصها فيمايلي :

. التعامل الايجابي مع الواقع، وعدم الانطلاق من مجرد فكر نظري فلسفي، أو مجرد استلهام لتصورات وخطط مسبقة، بحيث ينقاد لها الفكر الإسلامي ويترسم خطاها، فطاقات الفكر والدرس والبحث في الطبائع، والواقع تنطلق على أساس مبادئ العقل، وسنن الكون، ومقتضى هداية الوحي.

. تكامل المعرفة ليس عملية معرفية بحتة، ولكنها عملية نفسية، تربوية، تعمل على تنمية الدوافع، وتربية الوجدان، وتحرير الإنسان المسلم من أفات الخرافات والأوهام والتناقضات، ليخوض غمار العلم والمعرفة في شجاعة وثقة ومبادرة طلبا للإصلاح والإتقان والإبداع.

. تكامل المعرفة عملية تتطلب الإلمام بمفاهيم الإسلام وقيمه، وبالمعرفة الحديثة، والتفكير المستمر لتوليد الفكر والمعارف.

والمسؤولية ملقاة على عاتق العلماء والمفكرين المسلمين المعاصرين كل في مجاله لتحقيق هذا التصور والكشف عما أصاب الفكر الإسلامي من انحراف عن توجيه التوحيد، ولنا في التراث الإسلامي خاصة فترة العباسية خبرة يجب استثمارها أحسن استثمار لتجنب مزالق فهم الدين وربطه بالعلم بطريقة عرجاء قد تنتج مجتمعا منفصما إن نحن لم نسارع الخطى وان نأخذ بمسببات العلم بشقيه العقلي والنقلي فيما يفيد التراث الإنساني والبشرية .

7-قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

1. ابن خلدون عبد الرحمان، 2004، المقدمة، (جمع وتحقيق) عبد الله الدرويش، دار البلخي، دمشق 2.
2. ابن رشد ابو الوليد ، 1997 ، فصل المقال في تقرير ما بين الحكمة والشرعة من الاتصال، (تحقيق): محمد عابد الجابري، مركز الدراسات العربية ، بيروت.
3. ابو حامد محمد بن محمد الغزالي، 2005، احياء علوم الدين، ج 1، دار المعرفة بيروت.
4. ابو حامد محمد بن محمد الغزالي، 2000، ميزان العلم، (تحقيق): احمد شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت.
5. ابن منظور، 1999، لسان العرب، ج 11، دار صادر، بيروت.
6. الفاروقي اسماعيل راجي، 1983، اسلمة المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل، (ترجمة)، عبد الوارث سعيد، الكويت.
7. الميداني عبد الرحمن حسن، 1993، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق.
9. الراغب الاصفاهني (د.ط)، المفردات، دار المعرفة، بيروت
10. بومنير كمال، 2010، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الدار العربية للعلوم، القاهرة.
11. ملكاوي فتحي حسن، 2012،"مفاهيم التكامل المعرفي"، ملتقى التكامل المعرفي أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية، تحرير رائد عكاشة، ط1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
12. ملكاوي فتحي حسن(2016)،منهجية التكامل المعرفي: مقدمات في المنهجية الاسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
13. رجب ابراهيم عبد الرحمن، 1996، التأصيل الاسلامي للعلوم الاجتماعية، در عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض.
1. الدعامين زياد خليل، 2011، "التكامل المعرفي في القرآن الكريم"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الأردن ، مجلد رقم 9.
2. وان محمد عزام محمد امين ، 2015 "التكامل المعرفي في التراث الإسلامي"، مجلة اللغة العربية للأبحاث المتخصصة، عدد رقم 1، مجلد2، ماليزيا.
3. حنفي ساري ، 2016،"اسلمة وتأصيل العلوم دراسة في بعض الإشكاليات" ، مجلة المستقبل العربي، ، بيروت، عدد سبتمبر، 451.
4. أحمد محمد ابراهيم، ابو بكر ، 2006 ،" مفهوم التكامل المعرفي وعلاقته بحركة اسلامية المعرفة" ، مجلة اسلامية المعرفة ، عدد خريف وشتاء . 42-43.
5. الدخيل خالد، 2015 الفلسفة والدين ...ابن رشد وراسل، جريدة الحياة اللندنية، متاح على الرابط www.alhayat.com/article/828969/.../

6. القريشي علي ، 2008 ، توطين العلوم في الجامعات العربية والاسلامية، رؤية ومشروع، كتاب الامة ، الكويت ، العدد 125 ، .

7. يورغين ميتلشتغاس،2013، " العلوم الإنسانة في نظام العلم"، (ترجمة) رضوان ضاوي، مجلة جيل للدراسات الأدبية ، عدد 1 ديسمبر ، لبنان، على الموقع : www.jilc.com//:http

8..روبيرت هانس،2015،السؤال المفتوح والجواب الحتمي نموذجية العلوم الإنسانية في حوار التخصصات، (ترجمة) رضوان ضاوي، على الموقع :

www.aranthropos.com/السؤال-المفتوح-والجواب-الحتمي-نم/

9. بارة عبد الغاني، 2005، " تحولات النظرية النقدية- مقاربة تفكيكية في ثقافة التجاوز وعولمة المفاهيم" ، مجلة عالم التربية، عدد16، الدار البيضاء.

ثانيا: المراجع باللغة الاجنبية

- Edgar Morin(1999),la transdisciplinarité…..et nous, revue Dees ,rubrique vie de la discipline ,n 115.